أحمد محمد السوميلم

موجبات الوعد الحق

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت ٩٢٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَملُوا الصَّالحَات لَيَسْتَخْلفَنَّهُمْ فى الأَرْض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ من قَبْلهمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مّن بَعْد خَوْفهمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنى لاَ يُشْرِكُون بى شَيْئًا ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلكَ فَأُوْلَئكَ هُمُ الْفَاسقُونَ ﴾ (١) .

صدق الله العظيم

---

(١) النور : الآية رقم ٥٥ .



مقدمة

إثر كل نظرة للواقع المرير أو عقب زيارة خيال للماضى التليد ، يعود المرء من هذه وتلك وكله آلام وهموم وأوجاع وأحزان ، فيتساءل سؤال اليائس من الشفاء ما هو الدواء لهذه الجروح الآسنة والندبات الغائرة التى طفحت على كل جسم إسلامى وفى أى مكان .

ويستصغر المرء نفسه فما عساه أن يجيب ويخيفه ما فى البحث عن الإجابة من مكابدة وعناء فيولى وجهه شطر الواقع باحثا عن جواب فيجد لوعة الاغتراب يكتوَى بها كل من حدثته نفسه بهذا المقام .

لكن مع كل خطوة وفى كل مكان يقرأ المرء فى فعال مجاوريه إجابة لهذا السؤال – وإن تعددت الأجوبة حتى وقفت على طرفى نقيض وأدت إلى التشتت داخل كل مكان فى العمل أو فى الدراسة أو حتى داخل البيت الواحد تلمس التنافر والتناكر والتشتت بسبب تعدد الرؤى لهذا الدواء ناهيك عن الجموع التى أسلمت نفسها للخضوع والخنوع فصارت مسوخًا أو (تشاخيص) تقلد كل غربى فى فكر وزىّ وطعام وحتى فى لغة الحديث ولهجة الكلام .

وقبل اليأس – معاذ الله – تدرك المرء رحمة فتلمع فى ذاكرته أمثلة كثيرة لأعلام تعرف هذا الدواء بل وعالجت به الكثير ، فسألت الله العون والتوفيق فى أن أجمع هذا الدواء من مصادره – وإن تفرقت – حتى يسهل الوقوف عليه، وبدأت بعون الله فتذكرت (خطبة جمعة) سمعتها عام ستة وثمانين من الشيخ أحمد المحلاوى بالأسكندرية وكان موضوعها هذه الآية الكريمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وتردد فى أذنى صدى نبرات الشيخ عند قوله وعد الله وتساؤله مرارا ترى من الذى أخلف هذا الوعد ؟ وما هى متطلباته ؟

وكان هذا الخاطر (فرس طروادة) الذى فتح على حصن البحث المنيع وقلت فى نفسى - وكما قال الشيخ إن موجبات تحقق هذا الوعد - كما وردت فى الآية - هى الإيمان بالله والعمل الصالح والإخلاص فى العبادة ورحت أجمع من ذاكرتى كل ما شرفت بسماعه من السادة العلمـاء فى دروس وعظ أو محاضرات عن كل مسألة من المسائل الثلاث وكل ما قرأت عنها فى كتاب .

وكنت كلما ضلت منى المعرفة نشدتها فى حكم سيدى ابن عطاء الله فيفتح الله أبوابًا كثيرة توقفنى على ضالتى دون عناء .

ولقد حاولت - بقدر الإمكان - الإجابة على سؤال هام ربما سأله الكثير لأنفسهم وربما كان سببا من أسباب التفرق بين الجماعات وفى الوقت ذاته ربما كان عماد كل هذه الجماعات ومحور تفاعلهم مع الأفراد هذا السؤال هو : ما هو واجب كل مسلم حتى يتحقق العز والنصر للمسلمين ؟

ما هى واجبات المسلم المستمدة من كونه مسلمًا ؟ ولقد آثرت ما استطعت أن تأتى الإجابة بسيطة وواضحة يسهل على كل قارىء لها العلم والقيام بها لأن الإسلام لا يقتصر على النخبة فحسب فالأفراد العامة فى حيرة من أمرهم ويتساءلون ما هو المطلوب منهم ولما كان العامة فى كل زمان هم الأكثرية بينما تمثل النخبة الأقلية ولما كان دور عامة الأفراد لا يقل أهمية عن عمل النخبة - إن لم يكن أكثر وأهم - لذلك حرصت أن تكون تلكم الإجابة متناسبة معهم من ناحية أولى ومن ناحية ثانية حرصت أن تكون محل اتفاق لدى الجميع فبعدت عن مواطن الخلاف والنظرات السطحية ، والمصادر المصلحية واعتمدت على القرآن والأحاديث الشريفة مع الاستشهاد بأفعال وأقوال الصحابة والواقع

---

(١) النور : الآية رقم ٥٥ .

الملموس ، ومن ناحية ثالثة وأخيرة استهدفت فى الإجابة النهوض بالأمة الإسلامية ككل ، فإن هذا الهدف هو المسيطر على كل ما جاء فى هذه الأوراق فاقتصرت على تلكم الموجبات للوعد الحق والواجبات على المسلم حتى يتم التمكين والاستخلاف والأمن للأمة الإسلامية .

* * *

المسألة الأولى

(الإيمـــــان)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ (١)

صدق الله العظيم

- روح وجارحة
- عبادة ومعاملة
- حالاتك
- الأخلاق

---

(١) سورة النور : آية ٥٥ .

● روح وجارحة :

منذ أن خلق الله تبارك وتعالى آدم وحتى قيام الساعة ومطلبه جلّ وعلا من بنى آدم هو الإسلام ·

وفى أبسط معانيه الانقياد والاستسلام · فلابد أن تنقاد الجوارح فلا تقترف نواهيه ولا تعصى أوامره وفى ذات الوقت لابد أن ينقاد القلب فيشعر بالرضا للطاعة والحزن عند المعصية ·

فالإسلام لا يقيم وزنًا لدقات الطبول التى يعلوا صوتها لفراغها من الداخل ولا يعترف بالطقوس والمراسم ولا يعتنى بكل أجوف خائر ، إنما عماد الأمر هو عملك – سرًا وعلانية – فلا نسب ولا جاه ولا مناصب يرتقى فيها فى إطار الدين ولا صكوك للغفران ولا طرد من الجنان ·

عملك وتعاملك هو الذى ينبئ عنك إذا اعتدت المسجد شهد لك بالصلاح وإذا وقعت فى الريب وحامت حولك الشكوك فقد وقعت فى الشبهات ·

والإخلاص سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ·

إن شمولية الإسلام وعموميته تنبع من تعلقه بكل نواحى الحياة من ناحية ومن خلال تطلبه لانقياد الجوارح والروح من ناحية أخرى فالدين المعاملة معاملة الله ومعاملة خلق الله ·

وإذا كان عدم النطق بالشهادة يعنى الكفر فإن مجرد النطق باللسان فقط مع سواد القلب ودنسه يعنى النفاق والمنافق فى الدرك الأسفل من النار ·

قد تصلى وقلبك لاهٍ فلا صلاة لك ·

وقد تصوم ولست مع الله طوال يومك فلا صيام لك ، وقد تزكى وتقتل

فى الحرب ضد أعداء الله وتقرأ القرآن قد تفعل ذلك كله وليس لك منه شيء إذا لم يكن قلبك ونيتك لله خالصة ولرضاه قاصدة ٠

جاء فى الحديث الشريف أن النار تسعر بشهيد وقارئ قرآن ومتصدق فيقول الشهيد : يا رب قاتلت فيك فيقول الله عز وجل إنما قاتلت ليقال جرئ وقد قيل ويقول قارئ القرآن : يا رب قرأت القرآن فيقال له كذبت إنما قرأت ليقال قارئ وقد قيل : ويقول المتصدق : يا رب أنفقت فيقول له تعالى إنما تصدقت ليقال جواد وقد قيل ٠

إن كل عمل يتم له جانبان لابد من توافرهما جارحة وقلب ، إن الإسلام حقيقة وشريعة ، ديانة وقضاء وقار فى القلب وعمل يصدق قال ﷺ : « الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ٠

للجوارح فى الإسلام عباداتها ومعاصيها فاليد تساعد وتعمل وقد تسرق واللسان يذكر ويشكر ويصلح وقد يكفر ويجحد ويفتن والرجل تسعى للخير وقد تسعى للشر ٠

وأعمال الخير لها الحسنات وأعمال الشر عليها الدركات ٠

وللروح أيضا عباداتها ومعاصيها ، فالإيمان والصبر والرضا واليقين وحب الناس والنوايا الصالحة والتواضع والإخلاص طاعات لها الثواب والنعيم ٠

أما الكفر والضجر والغضب وعدم الثقة بالله والبغض والنوايا السيئة والكبر والرياء معاصى عليها العذاب والجحيم ولا تقل هذه خطورة عن تلك ٠

فكما أن السارق يعاقب فإنه كما قال ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) ،ذلك هو الإسلام ، روح وجارحة ٠

لا غناء لجانب عن الآخر وإلاّ ظهرت الصورة شائهة فيها عوار وعرج ٠

لابد أن يشهد الله فيك تقديرك له واستحضارك لأسمائه فى كل لحظة من لحظات الحياة ٠

يوم يمر عليك لم تقف فيه مع أسماء الله من خلال ما يحدث حولك وما يحدث لك فإنه يوم لهوة وغفلة ·

ركعات تؤديها بجوارحك ولا تستشعر فيها فضل الله عليك وامتنانه ولم تشكو فيها همك ولم تسأل فيها القبول ليس لك إلاَّ ما عقلت منها وما أظنك قد عقلت منها شيئًا ·

كلمات تلوكها بلسانك تسميها ذكرًا وما كنت فيها مستحضرًا جلال من تذكر دليل سوء أدب مع ربك ·

تقرأ القرآن فلا تقف عند معانى ما تقرأ دليل غفلة وطرد وجفاء وبعد ·

إنَّ خطابًا يصلك من عزيز عليك تمسكه بوجدان حاضر وتقرأه بكل أناة وتعيده المرة بعد المرة وتقف عند كل كلمة تتدبرها وتأخذ جانبًا وحدك حين قراءته فما بالك بكتاب أرسله إليك المولى تبارك وتعالى، تدعو وأنت لاهٍ فلن تجاب ·

مرَّ موسى عليه السلام برجل يدعو ربه ويجتهد فى دعائه ولا يستجاب له فقال موسى يا رب إنَّ عبدك يدعوك كثيرا فلما لم تستجب له قال الله سبحانه وتعالى يا موسى إنَّه يدعونى وقلبه مشغول بغنمه فلما عاد به موسى قال للرجل استحضر قلبك فلما استحضر الرجل قلبه استجاب الله له ·

ليس هناك مجال للغفلة وإنَّما يقظة دائمة واستحضار لميزان يوم القيامة وانشغال برجحان عملك أم طيشه عند شرائك جرامات معدودة من الذهب تشغل بالميزان والحساب وتعيده المرة والمرة وتريد أن تعيد الوزن عند كل بائع تمر به حتى تطمئن لكنك لاهٍ عن الميزان ·

وعندما تبتاع بضاعة ويترك البائع كفة بضاعتك ترجح ينشرح صدرك ويتهلل وجهك فهلاَّ شغلت نفسك برجحان عملك يوم القيامة ·

روى أبو داود فى الحديث (أن رسول الله ﷺ كان واضعًا رأسه فى حجر السيدة عائشة فنعس فذكرت السيدة عائشة الآخرة فبكت فسال دمعها فنقط

على خد رسول الله ﷺ ، فقال : ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة يا رسول الله هل ستذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ :(والذى نفسى بيده فى مواطن ثلاث فإنَّ أحدًا لا يذكر إلاَّ نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم يخف ميزانه آم يثقل وعند استلام الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أم بشماله وعند الصراط)٠

* * *

● عبادة ومعاملة :

قال ﷺ : (لا رهبانية فى الإسلام) ، وقال : (إنك إن تخالط الناس فتصبر على أذاهم خير من أن تعتزلهم) صدق رسول الله ﷺ ٠

إقامتك فى صومعة طوال عمرك قصور فى الفهم وعجز عن أداء الواجب٠

إنما تخلو بنفسك وتعتزل بها لفطامها ثم تخالط الناس وقد جلمتها ذلك حسن مباح ودليل نجاح وفلاح فلا تكفى عبادة من نجاة إذا كانت المعاملة جائرة ظالمة ، ولا تكفى المعاملة وحدها إذا كانت العبادة مفقودة غائبة ٠

بداية الصلاح صلوات خمس فى أوقاتها مع جماعة المسلمين ، ورد للمظالم على أهلها واستسماح من أخطأت فيهم أهم بكثير من تسبيح وتهليل والناس لها عليك حقوق ٠

قدوم على المندوبات والنوافل مع تضييع الفرائض غبش وخلط للشوائب بالصفاء ٠

من صفى صُفى له ومن كدر كُدر عليه والثوب النجس أحوج للغسيل من التعطير ، وتطوع يقعدك عن فرض الأولى تركه والإتيان بالفرض على تمامه ، والمرء فى الإسلام واحد من اثنين مجنون رفع عنه القلم وعاقل محاسب على كل لفظة ونفس ٠

والكلمة يقولها العاقل لا يلقى لها بالاً يدخل بها النار لأنه ليس فى

الإسلام هذر وتندر بالدين قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١) .

لن تسأل عن شيء لا تطيقه لكنك فى الوقت ذاته لن تصدق إلاَّ إذا بذلت ما وفى وسعك واستنفدت جهدك وأفرغت طاقتك وما أدق ميزان يوم الحساب .

واعلم أن لله على خلقه فتوحات ربانية تنير العقل وتصفى القلب وتشعر حينها بالاطمئنان وتفجر ينابيع الحكمة تأتى إثر عبادة صالحة تكون حينها فى لذة لا تحويها عبارة ولا تدل عليها إشارة لو علمها الملوك لقاتلوك عليها بالسيوف .

فى أوقات كثيرة عندما تضيق بى النفس وتعترينى لحظات غفلة بمجرد الانتباه وأجد الباب مفتوحًا والطريق ممهدًا وليس هناك حائل ولا عائق عن الله آنئذٍ تغمرنى سعادة بالغة وأتساءل فى نفسى ماذا لو كانت هناك شروط للإقبال على الله كدرجة من الثراء أو الجاه لو كان ذلك كذلك لأصبح الأمر مرًّا وصعبًا إنما كرم الخالق لم يجعل للقائه وقت ولا للإقبال عليه قيد ولا حد .

فما أتعس وأخسر ذلك البعيد عن الله المنشغل عنه مع قلة عوائقه ووجود الوقت الفراغ لديه .

العبادة الصحيحة السليمة لا يكون الإنسان مسلمًا بغيرها .

تدخل المسجد فلا تجد غير نفر محدود من كبار السن غلبهم النعاس والنوم يتمايلون فى أداء صلواتهم كأعواد الذرة التى أسلمت نفسها للرياح يجب أن يكتظ المسجد بالشباب الفتى العفى خاصة فى صلاة الفجر والعشاء .

فى كل وقت وفى كل مكان يجب أن يشعر كل من يجاورك أنك مسلم بعبادتك وبمعاملتك .

أمَّا أن تجلس مع مسيحى أو يهودى يومًا بأكمله فلا يعرف أنك مسلم وأن هناك فارق بينك وبين جلسائك من خلال قيام لصلاة حان وقتها والتزام بآداب

(١) التوبة : آية ٦٥ .

ثياب واجتناب لأفعال حرمها الله إذا لم يظهر هذا الفارق فأين إسلامك إذن أحسبك لم يبق لك شيء منه إلا كتابته فى شهادة ميلادك فحسب .

يحضرنى فى هذه اللحظة ما فعله اليهودى « إسحاق شامير » أثناء انعقاد مباحثات السلام فى مدريد العام الماضى عندما ترك المباحثات وعاد إلى إسرائيل يوم الجمعة لأن التوراة تنهاهم عن العمل يوم السبت .

أنظر لاحترام هذا لتوراته المحرفة فأين التزامك بتعاليم الإسلام ، لابد من اليقظة التامة والحضور مع الله فى كل نفس ونبضة عرق وقلب .

إن من يهيم كالسكران يتيه فى الموالد والمناسبات يتمايل يمينًا ويسارًا يردد ألفاظًا تحمل فى طياتها المروق من الدين فينصب الخيام ويأخذ الطعام ويقيم الليالى والأيام يتنقل من بلد إلى آخر غاب عما يحدث حوله مثل هذا خرج عن حدود الشرع وجانب الصواب ولن يجديه عمله ولو كان فيه مخلصًا لله لأنه لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان صوابا وخالصا .

ليس فى الدين مجالا للابتداع إنما التزام واتباع ، إن الإسلام لا يطالبك بالأداء فقط إنما يطالبك بفقه الأداء فلابد أن تفعل وتفقه ما تؤدى وإلاَّ ليس لك مما أديت شيء قال ﷺ : (ليس للمرء من صلاته إلاَّ ما عقل منها) صدق رسول الله ﷺ .

ولا يعنى الإسلام الصورة فى شيء إنما كل ما يعنيه الحقيقة والجوهر وإن كانت الصور لابد أن تحيا بالحقائق فى الشارع وفى الأسواق لابد أن تدل معاملاتك على دينك .

فرجل يكذب ويرشى ويرتشى مماطل كثير الحلف يحيف فى تعاملاته ليس كرجل سمح صادق الوعد غير بذيء ولا لعَّان ولا كذاب لا يعرف أقنعة ولا تزوير وإنما له طبيعة واحدة ليس الأول كالثانى والحق واحد لا يتعدد فأحدهما صواب والآخر خطأ أحدهما حق والآخر باطل أحدهما له دين يحترمه ويقتنع به والآخر لا دين له .

إن الأمر صعب ودقيق وللجنة ثمنها ، قال ﷺ (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) وقال تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1] وقال ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [2] .

وأكبر المقت عند الله القول بلا عمل .

إن شيوع خراب الذمم وسوء معاملة الأهل والجوار بين المسلمين يحتاج إلى وقفة متأنية مع النفس لمراجعة الإيمان من جديد .

* * *

● **حالاتك :**

لله في خلقه أمور يصرفها كيف يشاء .

والمرء يعتريه حالات أربع وهو محاسب عن سلوكه أمام الحالة التى أرادها الله له وقدرها عليه ، ولقد عبر المرسى أبو العباس عن هذه الحالات بجمال وعمق ويسر . كلماته لا تنكرها شريعة ولا تعترض عليها حقيقة .

فلقد ذهب ابن عطاء الله إليه شاكيًا همومه فقال أبو العباس : « أحوال العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك فيها وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار » .

يقول ابن عطاء : « قمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبًا نزعته ثم سألنى بعد ذلك بمدة كيف حالك فقال ابن عطاء الله أفتش عن الهمّ فلا أجده » .

قال ﷺ : « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلاَّ للمؤمن

---

(١) سورة ق : آية ١٨ .   (٢) سورة الأنبياء : آية ٤٧ .

إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له »
صدق رسول الله ﷺ .

إن الفهم الإسلامى السليم للحياة ووجود الإنسان فيها وعلاقته بربه وتقديره الله حق قدره يريح الإنسان كل الراحة ويضمن له السعادة فى الدنيا والآخرة .

كل برهة تمر على الإنسان لابد أن يكون فى حالة من الحالات الأربع السابق ذكرها فلو أدّى حق الوقت الذى فيه ما خاب أبدًا وما خسر الحالات الأربع هى :

طاعة ويجب عليك وأنت فى حالة الطاعة أن تشهد أن الله هو الذى وفقك إليها وأنها منة من الله عليك: ولولاه ما هديت فالشكر يستحق الشكر لأنه نعمة من الله إليك وتصريف قلبك للطاعة نعمة لا تعادلها نعمة وأعلم أنها ليست شطارة منك ولا مهارة سلوكك طريق الطاعة والصلاح وإنما هى هبة من الله المنان الوهاب فتواضع بها لله وادعوه القبول ، فقد يكون كتب لك العمل وما كتب لك القبول .

وكان ﷺ يكثر فى دعائه من قوله « اللهمّ يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا إلى طاعتك » وقال ﷺ : « إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء » صدق رسول الله ﷺ .

وقد أكثر إبليس العبادة وما أبشع ما انتهى إليه وكثيرا من الخلق جرى القلم عليهم وكانوا هم كتاب الوحى أو من الدعاة ثم صرف الله قلوبهم عن الحق فماتوا على الباطل وقال ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار . . . » فاشهد فضل الكريم وادعوه بالدوام والزم الشكر .

الحالة الثانية – المعصية ومقتضى الحق منك وجود الاستغفار : ووقوعك فى المعصية لا يد لك فيه إنما موقفك عند المعصية هو محل السؤال والحساب .

قال الله تبارك وتعالى فى وصف المتقين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[1] .

أما إذا أصررت وعاندت كنت أهلا للعقاب والحساب ، من منّا منزه عن ارتكاب المعاصى غير الأنبياء فقط وكل ابن آدم خطّاء وخـــير الخطائين التوابون ،والفارق بين أهل النار وأهل الجنة أن أهل الجنة أذنبوا فتابوا وأهل النار أذنبوا فأصروا ولم يستغفروا ، واليأس من الرحمة منهى عنه ·

وشعورك بأن الله لن ينقذك من المعصية إتهام لله بعجز إرادته ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ [2] ، ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] صدق الله العظيم ·

ومن عرف الله استصغر فى جنبه كل ذنب ولم يصده عن حسن ظنه بالله شىء ، واسأل مولاك الفضل فلا كبيرة إن واجهك فضله ، كما أنه لا صغيرة إن واجهك عدله ·

ولا تيأس من الذنب فقد يكون آخر ذنب قُدِّر عليك وربما كان سببًا فى معرفة الطريق القويم ·

يقول ابن عطاء الله فى حكمه « ربما يفتح لك باب العمل وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا للوصول » ·

وقال « معصية أورثت ذلاً وافتقارًا خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبـــارًا » ، وقال أبو مدين « انكسار العاصى خير من صولة المطيع » ·

إن المعصية التى يعقبها شعور بالندم والحسرة والرجوع إلى الله قد تكون أنجح للمرء من طاعة يتعالى بها على الخلق ويتكبر ·

ومن المقارنات اللطيفة ما عقده السادة الفقهاء بين العاصى الذى تاب والمؤمن الذى لم يعص أيهما أفضل عند الله ·

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٥ ·
(٢) سورة الكهف : آية ٤٥ · (٣) سورة الحشر : آية ٦ ·

لابد من التوبة إلى الله وعلامتها الندم قال ﷺ : « الندم التوبة » وشرط التوبة الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة فى الحال والعزم على عدم العودة إلى المعاصى ، ومن علامات موت القلب عدم الحزن على ما فات من الطاعة وعدم الندم على ما اقترف من الذنوب ، ورد فى الأثر أن رجلاً أذنب فتاب ثم أذنب فتاب ثم أذنب فلم يتب استحياءً من الله فسمع من يناديه يا عبدى لماذا لم تتب هل نفدت رحمتى لو تبت إلينا قبلناك » .

إن الله رحيم بنا يمهل المذنبين وينادى الشاردين ويبسط يده بالليل ليتوب مسيئو النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئو الليل وإذا تقرب العبد إليه شبراً تقرب منه باعًا والعبد يعصيه ويجاهر بالمعصية ويسىء إلى مولاه ومع ذلك يمهله ويفتح له باب الرحمة ولو شاء لخسف به الأرض من تحته ، وإذا هم العبد بالسيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة .

الحالة الثالثة – النعمة ومقتضى الحق منك الشكر :

فالنعمةُ فى ذاتها ليست خيرًا ولا شرًّا ولن يسألك الله عن كونك فقيرًا ولا عن كونك غنيًّا وإنما يسألك هل شكرت أم جحدت فإن كانت الأولى فقد أديت نصف إيمانك قال ﷺ : « الشكر نصف الإيمان » صدق رسول الله ﷺ .

المال ليس ذنبًا فى ذاته كما تدعى المسيحية وليس بشيرًا كما فى آراء البعض وإنما حالة تعترى المرء بيد الله وقدره .

والشكر أو الجحود هو بيت القصيد ، واعلم أن الشكر قيد النعم ، وسبب للمزيد منها .

قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (١) .

وقيل شكر العينين أن تستر عيبًا تراه بصاحبك وشكر الأذنين أن تستر عيبًا تسمعه فيه ، وورد فى الصحيح أن أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله تعالى على كل حال ، ومن موجبات الشكر القناعة والرضا .

---

(١) سورة إبراهيم : آية ٧

وقالوا :الشاكر من يشكر على الموجود ، والشكور الذى يشكر على المفقود، وقالوا:الشاكر من يشكر على النفع والشكور الذى يشكر على المنع ٠

ومن أخبار الصالحين أن أحدهم مرَّ بآخر فسأله ما حال الشكر عندكم قال إن وجدنا شكرنا وإن لم نجد صبرنا ، قال له زميله أما نحن فإن وجدنا آثرنا وإن لم نجد شكرنا ،ولم يعرف الشكر من كان مليئًا بالطمع ٠

الحالة الرابعة – البلية ومقتضى الحق منك الصبر :

واعلم بأن الصبر عند الصدمة الأولى أى عند نزول البلاء بك أو وصول الخبر إليك ، أما بعد ذلك فهو سلوّ كما تسلو البهائم ٠

قال ﷺ : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » صدق رسول الله ﷺ أما أن تبكى وتضجر وتشق جيبًا وتدعو بدعوة الجاهلية ولا يملك الناس أن يحدثوك لما يتطاير من عينيك من شرر الغضب والغيظ ثم بعد ذلك تقول إنى صابر فليس ذلك بالصبر وإنما لا تملك سواه شأن البهائم فى مصابها السلوان ٠

وينبغى أن نقول : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون » ٠

وأن تقول :« اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلفنى خيرًا منها » والصبر ترك الشكوى قال على بن أبى طالب : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» ، فلابد أن تقف أمام بلاء الله لك بحسن أدب » ٠

وليخفف البلاء عنك علمك بأن الله هو المبتلى لك ، وقالوا: الصبر أن لا تفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيها ، والتصبر هو السكون على البلاء مع وجدان أثقال المحنة ٠

وقال الله تبارك وتعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) ٠ فأى شرف بعد معية الله سبحانه وتعالى لك ٠ ومن أسمائه تعالى الصبور ٠

والصبر عنوان الفرج فى المحنة ، ولتذكر دائمًا نبى الله أيوب عليه السلام وصبره وانظر إليه حين دعا وقال : ﴿ إِنِى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٣ ٠ (٢) سورة الأنبياء : آية ٨٣ ٠

قال « مسنى » ولم يقل أصابنى ولازمنى مدة طويلة ، وقال « وأنت أرحم الراحمين » ولم يصرح بطلب الشفاء أدبًا مع الله ·

ومن الأدب مع الله ألاَّ تعترض على قضائه وقدره فهل أخذ غير ما أعطاك وهل وجب عليه العطاء أم تفضل وتكرم ·

هذه هى حالات المرء وتلكم متطلبات الحق منه فى كل حالة ، فليس وقت بغير حق لله فيه ، وإذا لم تؤدِّ حق كل وقت فى حينه استحال قضاء هذا الحق لأن الوقت الذى ترغب أن تقضيه فيه مشغول هو الآخر بحق الله فيه وعليك أداؤه ·

قال سيدى ابن عطاء الله السكندرى : « حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها · · · » ·

* * *

● الأخـــلاق :

قال ﷺ : « أقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، الموطؤون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون » صدق رسول الله ﷺ ·

حسن الخلق دليل الصلاح والنجاة يوم القيامة ، ويوم القيامة يغبط النبيون والشهداء قومًا لمكانتهم عند الله هؤلاء القوم هم المتحابون فى الله ، لين الجانب وحب الناس ومد يد العون لهم وإفشاء السلام وبذل الطعام جوانب هامة من الأخلاق فى الإسلام ·

وللمسلم أخلاقه التى يجب أن يتحلى بها وإلاَّ فقد مع فقدانها إسلامه كله ·

إن شهادة جار لك بأنك حسن الجوار تفوق ألف شهادة بأنك متحدث وخطيب بارع ، ما الفائدة أن تلقى محاضرة على الناس تحدثهم فيها عن حسن معاملة الأهل والجيران فيبهرهم حديثك وربما أبكيتهم فى الوقت الذى أنت فيه مسىء لجارك وأهلك ·

إنَّ من العلم ما هو لك ومنه ما هو عليك والعلم الذى هو عليك علم لم تعمل به ، ويوم القيامة يرى الناس علماء فى النار فيسألونهم ويقولون يا فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه .

ولقد وصف المولى سبحانه وتعالى الذين يحملون العلم ولا يعملون به كالحمار الذى يحمل أسفارًا وشبه ابن باعوراء وهو من علماء بنى إسرائيل بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ضع أمامك دائمًا الجنة والنار والميزان والصراط والعرض على الله أمام كل الخلائق واخش من الفضيحة فى هذا اليوم فسوف يُرفع أقوامٌ ويخفض آخرون .

وكل عمل تعمله اسأل نفسك جيدًا تراه فى جانب الحسنات أم فى جانب السيئات ، إنك قبل أن تقدم أكلا لكلب تربيه تتحرى أن يكون نافعًا له غير ضار به فكيف تقدم على أفعال تضر بك ولا تنفعك .

إذا عرفت الحق فالزم ، ومن خلق المسلم الحياء .

فذلك الذى يفتح عينيه على حرمات الناس ويحملق بعينيه فى الغادى والرائح إذا أتيحت له فرصة للنظر من ثقب باب غيره فعل ، مثل ذلك بعيد عن خلق الحياء .

أما الحياء مع الله سبحانه وتعالى فجاء فى الحديث لرسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم لأصحابه: « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنَّا نستحى من الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فهو استحيا من الله حق الحياء » صدق رسول الله ﷺ .

فالحياء من الله عدم اقتراف معاصيه بنعمه التى وهبها لك وأى حياء لمن يستعمل نعمة الله فى معصيته !!

وإذا استحيا العبد من ربه أنسى الله الناس عيوبه وأنسى بقاع الأرض

ذنوبه ومحا زلاته ، ومن علامات المستحى ألا يرى بموضع يستحيا منه ، وأعلم أنك لو استحييت من الله ما خفت غيره ·

وإذا كان الله حين دعائه يستحى جلَّ وعلا أن يردك كيف لا تستحى عند عصيانه ·

واعلم بأن استحياءك من الله عند الطاعة يغفر الله لك عند ذنبك ولا يعرف الحياء ناقض عهد ، ومن أخلاق المسلم الفطنة فلا يلدغ من جحر مرتين ولا يسلم زمامه لعدوه ولا يحكم فى أمره مخالفا له فى الدين ولا يوالى من حاد الله ورسوله ولا ينتظر الخير ممن لا يعرف الخير لنفسه إذ يعصى ربه وهو يعلم أن مصيره النار ·

ولا تسير أمور المسلم هباء وإنما كل حركة وسكنة لله وبالله ، ولما قيل لعمر بن الخطاب ﷺ إن هذا الرجل طيب لا يعرف الحرام قال إنه أحرى أن يقع فيه ·

لأنه لم يفطن للحرام وأساليبه وأنواعه ومن ثم غابت فطنته فيسهل غوايته ، ومن أخلاق المسلم الرحمة فلا يعتبر الخطأ فرصة سانحة لجلد ظهور الناس وعصر دمائهم وامتصاصها ، ولا يستغل ضعفهم ولا حاجتهم وإنما يكون رحيما بهم حنونا عليهم ·

وإذا تمكن من أخيه فليذكر قدرة الله عليه ويرحم أخاه رجاء رحمة ربه، أما ذلك الذى يصلى ويؤدى الفرائض ويشكو الناس من جفاء طبعه وقسوته وغلظة قلبه وحدته فيعامل الناس بما لا يرضى أن يعاملونه به فيقسم ظهورهم ويثقل كواهلهم ويتحرج الناس من التعامل معه فليذكر قول الرسول ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم » وقال « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » فشأن المسلم الحق كظم الغيظ والعفو عن الناس عند الاقتدار عليهم ·

ومن أخلاق المسلم الشهامة والنجدة والفتوة فهو دائما متصف بالشهامة والنجدة وأيضًا رهافة الحس ورقة الشعور بما يحدث لهم ·

والفتوة ألاَّ ترى لنفسك فضلا على أحد وأن تنتصف وتنصف ، وهو دائما فى حاجة أخيه قال ﷺ : « لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه » صدق رسول الله ﷺ ، ولا تحتجب عن قاصد ولا تهرب من سائل .

فهو دائما يسر المحنة ويظهر النعمة فلا تجده متبلد الإحساس فاقد الشعور والوجدان كأنه حجر لقسوته أو ثلج لبرود طبعه يقتل أخوانه المسلمون وتسبى نساؤهم وتذبح أطفالهم يحاصرون بالشهور والأعوام والعدو يحيط بهم يرى كل ذلك فلا يتحرك ولا يتألم بل لا يذكر ذلك طوال يومه فهو على حاله التى عليها ، يسهر ويأكل ويلهو ويلعب ويحضر الحفلات والندوات ويشاهد العروض والروايات ويشغل نفسه بالجديد فى الثياب والكماليات ، فلا يقتصد فى نفقة من أجل إخوانه ولا يترك لذة مشاركة لهم فى أفراحهم ، ولا تدمع له عين تسأل لهم النصر والفرج ، وكان عليه أن ينشغل بأخوانه شغله بنفسه وأشد .

ومن أخلاق المسلم الحرية فلا يقبل الضيم ولا الذل وهو يتحرر من نفسه أولاً ، ومن شهواته قبل تحرره من الأعداء .

فلا يطلب حاجة إلاَّ بعزة نفس لعلمه أن الأمور تجرى بمقادير جفت أقلامها وطويت صحفها ، ومن أخلاق المسلم الجود والسخاء قال ﷺ : «السخى قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس بعيد عن الجنة قريب من النار ، والجاهل السخى أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل » صدق رسول الله ﷺ واعلم بأن من كان ربه جوادًا كريمًا لا ينبغى أن يكون عبدًا لئيمًا بخيلاً ، ولتكن عادتك مع ربك أنك متى أعطيت أعطاك ، ومتى احتجت فمنعك ؟؟

ومن أخلاق المسلم الحب فلا يكره الناس ، وهو بأصحاب الغفلة والمعصية أود وأرفق ، ومن ثم لا يكرهه الناس وإن خالفوه فلقد كانت قريش

تحب الرسول ﷺ ، وتسميه الصادق الأمين وكان الحكم بينهم إذا تخاصموا، وأساس حب الناس لك حبك لله ورضائه عنك ·

ولا يكرهك الناس إلاّ إذا كان في سلوكك خطأ وبينك وبين الله جفاء وخراب ·

تقدم على السنن وتؤدى الفرائض لكنك حاد القول مع المسلمين غليظ القلب تنظر إليهم ببغض وكره فإنك مسيء بلا شك حتى ولو كانوا لا يصلون لأن للدعوة أساليب كثيرة تنبع جميعها من الحب ·

ولا تنافق ولا تتملق ولكن ابحث بدقة فى من حولك ستجد فيه سمة تستحق المدح ومن خلالها تحبه بصدق ·

وأعلم بأن سوء الخلق يعقبه الخيبة والندم فى الدنيا وهو مطية للنار فى الآخرة ، وأعلم بأن عقوق الوالدين يعجل عقابه فى الدنيا ·

قال ﷺ « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » تعلو ضحكاتك خارج البيت وتسمر مع الآخرين وتحل المشاكل فإذا دخلت البيت كنت عابس الوجه غليظ الطبع ، حاد القول ، فإنك قلبت الأمر رأسًا على عقب وجانبت الصواب فى فعلك ، ولو فعلت الضد فأحسنت لبيتك وغلظت مع الآخرين كنت للصواب أقرب وعن الخطأ أبعد ، وربما غفر الله لك لوصلك لرحمك وإحسانك لأهلك ·

وأعلم بأن التواضع زينة الفتى ينال بها المكارم ويألفه الناس ولقد كان ﷺ يصلح نعله بنفسه وهو من هو شرفا وقدرا ·

* * *

المسـألة الثـانية

« العـــــمل الصـــــالح »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

صدق الله العظيم

- الحق والباطل
- العمــــل
- الدعـــاء

● الحـــق .. والباطـــل :

انتظارك يوما تخلو فيه الأرض من الشر تمامًا سراب ووهم .

وتصورك الأرض وقد آب عنها الحق تماما قصور فى الفهم .

كما أن تخيلك الحق ينعزل تمامًا عن الباطل ويحيا كل منهما فى دائرته الخاصة به لا يختلف عن تصور الحياة مستمرة وفيها زوج واحد ذكر أم أنثى وذلك بالقطع محال .

من يوم أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض والصراع بين الحق والباطل قائم مستمر وسيظل حتى قيام الساعة والفصل بين الخلائق ، تلك سنة من سنن الله فى كونه ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً ، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾[1] .

والمدافعة بين الناس وصولات الحق والباطل وجولاتهما دائمة أبد الدهر، وانتصار الحق على الباطل له يومه المشهود الذى لا يعجله نزول بلاء ، ولا كثرة ابتلاء ولكنه بيد الله وحده .

وزهوق الباطل أمر حتمى وحصحصة الحق ونصرته من السنن الأبدية فى الكون ، وبنى آدم فريقان أعمى وبصير ، أصم وسميع ، إيمان وكفر ، حق وباطل ، ولابد أن ينتظمك أحد الطريقين وأنت سالكه راغبًا وتحولك منه رهن بتقديرك الله حق قدره .

ولأبدية هذا الصراع نتائجه وهى ألاَّ تستقل جهد وألاَّ تتعجل نتيجة .

لست وحدك الذى يقف فى وجه الباطل وإنما معك الكثير والكثير وليس المكان الذى تحيا فيه موقع المنازلة وإنما كل مكان على ظهر الأرض ، فأيًا كان جهدك وعملك فهو مع أعمال الآخرين وجهدهم كثير ، تعلم إنسانًا حرفًا من الرسالة ويعلمه آخر وتكتب حرفًا فيها ويكتب آخر من مجموع أعمالكم تصل الرسالة للكمال والبيان فلا يبقى للباطل وجود مع وضوحها .

---

(١) سورة فاطر : آية ٤٣ .

وقد تعلم إنسانًا الفاتحة فينساها فتعلمه ثانية وثالثة و . . . . مفيد بلا ريب في بناء صرح الحق وحصنه .

ولأن الصراع أبديّ فلا تتعجل النتيجة ، ولا يكون فى تأخر النتيجة يأس لك أو قنوط لأن الصراع إلى الأبد والنتيجة يجب أن تكون فى جانب الحق كل الوقت وأنت عليك العمل وعلى الله تحقيق النتائج وذلك لأن النصر بيده فللبعد المكانى والزمنى لصراع الحق والباطل كانت هاتين النتيجتين عدم استقلال العمل وعدم تعجل النتيجة .

والملفت للأنظار أننا كثيرًا ما نشاهد هبوط همم وزلة قدم وسقوط على الطريق والتحول من فريق إلى فريق وكان الواجب البقاء حتى الموت على طريق الله المستقيم فالصراع كما قلنا أبديّ وأنت لبنة فى جانب الحق فلا يجوز أن تتزحزح أو تترك مكانك وتهوى مهما كانت الأسباب والتضحيات .

وإنما يجب أن تبقى حتى لقاء الله وبعد اللقاء بأثر صالح وعمل مفيد .

فما هو السبب فى وجود هذا السقوط !!! ؟

كل دمار وهدم يلحق بشىء لابد أن السبب الأساسى ، ولا تسقط الأدوار العليا إلاَّ بعد تهدم الأدوار السفلى منها ، وفى أوقات الزلازل إذا بقى الدور الأول صامدًا قويًّا متماسكًا فلن ينهدم المبنى مهما كان ارتفاعه وحتى لو استطاعت أن تطوحه فى الهواء وتجعله يتمايل يمينًا ويسارًا .

فصفاء الابتداء إذن هو الأساس المتين وعدم الصفاء هو الداء العضال الدفين ومن علامات النجاح فى النهايات الرجوع إلى الله فى البدايات .

وصفاء الابتداء له شرطين : همة عالية ونية صالحة ، فإذا كانت الهمة دانية يتم الوصول إليها فعند بلوغها يتم السقوط فمن كانت همته بناء مسجد فعند بنائه سيخلد إلى الراحة وإلى الخمول .

فعليك أن تكون همتك نصرة الحق كله على الباطل كله رضاء لربك كما أنه إذا كانت النية غير صالحة بأن انصرفت عن الله ولم تكن بغرض

رضائه وطلبًا لرحمته والنجاة من عقابه فإنه أيما كانت بعد ذلك ستكون دنيئة دانية .

يتحقق مرادها فتفتر أو يستحيل فتفسق وتفجر ، إن صراع الحق والباطل معركة بين عهد الله وغواية الشيطان بين الهدى والضلال والإنسان هو نفسه ميدان المعركة وهو نفسه الخاسر أو الكاسب .

فهو دائما جندى فى ميدان إمًّا أن يشغل نفسه بالحق أو يشغله الباطل ، وليس هناك طريق ثالث يمكن السير فيه .

تحل وترحل فلا تترك أثرا صالحًا يشهد لك عند ربك دليل خمول وكسل ونسيان أو جهل جنديتك فى معركة الحق والباطل .

عمل فى الخير صغير لا يترك أبدًا وأىّ شىء عند البدء كان كبيرًا ، ورد أن رجلاً عند موته كان يقول ليته كان كاملاً ،ليته كان جديدًا ، ليته كان بعيدًا فسأل الحضور عن قوله فأجيبوا بأن صاحبكم كان قد تصدق ببقايا رغيف فلما رأى عظم ثوابه تمنى لو كان كاملا وكان تصدق بثوب قديم فلما رأى ثوابه تمنى لو كان جديدًا وكان أخذ بيد أعمى ليعبر به الطريق فلما رأى ثواب ذلك تمنى لو كان سار معه مسافة أبعد .

كلمة فى الحق تقولها تدخل بها الجنة وشق تمرة تدخل بها الجنة وتبسمك فى وجه أخيك يدخلك الجنة وسقية كلب ضال تدخلك الجنة .

فالأعمال الصالحة كثيرة متعددة ، تتصدق بحفنة هى جهدك تفوق من تصدق بكنز ولديه كنوز ، وبقدر تركك ما تشتهى من أجل الله تكون منزلتك .

مرت جنازة برسول الله ﷺ فجعل الناس يثنون على صاحبها فقال ﷺ : « هل كان يدع كثيرًا مما يشتهى قالوا لا ؟ قال : هل كان يكثر ذكر الموت ، قالوا : لا ، قال : ﷺ : ما بلغ صاحبكم كثيرًا مما تذهبون إليه » . صدق رسول الله ﷺ .

قف مع معيارى الكمال الواردين فى الحديث الشريف ترك ما تشتهى

وذكر الموت ، وأىّ فضل لمن جعل بطنه مغارة لكل ما يشتهيه ونزل بشهوته كما يريد ومن هو عبد الدرهم وعبد القطيفة الذى تعس وانتكس فى حديث الرسول ﷺ إلاّ ذلك الذى راح يجمع كل ما تريده نفسه من حلى أو ثياب أو مال .

لابد أن تجوع فتمتنع عن الطعام من أجل إعطاء الآخرين رضاءً لربك فلا يكن كل ما يمنعك من الطعام عدم القدرة على إيجاده ولكن ليكن مانعك تحكم فى نفس وإرضاء للرب .

وقل ذلك عن ظمأ وعن لذة ومتعة فالأمر سواء ، وتذكر الإمام علىّ عندما تصدق برغيف كان سيفطر عليه بعد صيامه يومه ألم يدع ما يشتهى رغم حله ؟! ولا يكون دافعك للعمل انتفاعك به ولكن ليدفعك إليه ثواب ترتجيه وعقاب تتقيه ولتكن كما قال رسول الله ﷺ : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة إن استطاع أن يغرسها فليغرسها » ، فلمن سيغرس هذا الرجل فسيلته وهى تحتاج لسنوات حتى تثمر وهو يغرسها والساعة قامت فلن ينتفع بها لكنها دعوة لعمل الخير ومناصرة الحق حتى آخر نفس .

تشغل نفسك بعيوب الناس عن عيوبك قصـــور فى النظر وضيق فى الأفق ، تحديد علاقتك بأهل الباطل أمر هام،والأهم أين أنت من أهل الحق ؟ ولو أصبحت حلقة وصل بينهم وأداة ربط لهم وحضانة تلم شتاتهم ولو شغلت نفسك بتوفيق أعمالهم ومباركة حركاتهم وستر عيوبهم مع النصيحة ، وملأت أماكن الوحشة بينهم فتبدأ من حيث انتهى الآخرون وتكمل عمل المقصر فيهم مع الدعاء له بالثبات لو فعلت ذلك بنيت فى صرح الحق وأسست وأديت الأمانة وأتممت .

واعلم بأن الله يستخدم من يشاء فيما يشاء ، وقد تكون خدمتك جمع هذه الخدمات من مؤديها .

وأعلم بأن أهل الحق كخلية النحل لكل دوره ولابد من اقتسام الأعمال وأدائها بانسجام ، وأعلم بأنك إن سلكت طريق الحق عرفت أهله واتبعوك .

عليك أن تجتهد فى المطلوب منك ولا تشغل بما ضمن لك عن المطلوب منك فلا يفعل ذلك إلاّ مطموس البصيرة .

واعلم بأن إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فكل

وقت له عمله ولكل عمل وقته ، والشيطان لا يغفل عنك فكيف تغفل وتسوف .

وما دامت للشيطان بك مكيدة ملازمة وحرفة دائمة لا يغفل عنك لحظة فعليك ألاّ تغفل عن ربك قط وهو وحده ناصرك عليه وهو وحده ناصيتك بيده وهو وحده مخنسه ومخذله ، وحتى تكون من أهل الحق وأهلاً له اتصف بأوصاف العبودية فلا كبر ولا رياء ولا تعالى ولا ثرثرة ولا تشدق ولا تنطع .

واعلم بأن ما فاتك دون الله يسير وأن ما حصلت عليه سوى الله قليل وحقير ، فكيف تطلب من ليس بباق وتهرب ممن لا انفكاك له عنك فليس لك من مالك إلاّ ما أكلت أو لبست أو أنفقت ولن يبقى لك ملازما إلاّ ما تصدقت فأبقيت .

وذلك هو الشأن فى الأمور كلها ، أعمال لن تتركك وأوصاف لن تخذلك كيف تتركها لعمل فان وصفة خرقاء وأنت على الطريق قد يلتبس عليك بين أمرين فاختر أثقلها على النفس فلا يثقل عليها إلاّ ما هو حق واعلم بأنك إذا لم تنتصر على نفسك فتؤدبها وتعلمها وتكسر عاداتها فتنتظم فى طريق الله لن تستطيع أن تحقق نصرًا على باطل فكما قيل « فعل رجل فى ألف رجل أفضل من قول ألف رجل فى رجل » لأن الأول خرق من نفسه العوائد فأخرق الله له العوائد ، أما الألف رجل فلم ينتصروا على أنفسهم ومن ثم لم يهدموا باطل أو يشيدوا حق .

أعلم بأنك ما دمت على طريق الحق فأنك معرض للبلاء فضلاً عن الابتلاء ، فليكن مخفق البلاء عليك علمك بأن الله هو المبتلى لك وهو المختار ولا يختار لك إلاّ حسنًا وما عودك إلاّ منًّا وفضلاً ، فقد سبق عطاؤه طلبك وإحسانه عملك .

واعلم بأن الدنيا دار الأكدار ولابد أن يعرض لك فيها ما يناسب دناءتها وما هو أهل لها ، ولابد للبشر أن يقترفوا من الأعمال ما يدل على طبعهم وعلى وجود النقص فيهم وليس بعد الله كمال ، ولابد أن يفضح المرء بشريته بيديه فينطق أو يفعل ما يبعده عن الكمال الذى لا يتصف به إلاّ ذو الجلال والإكرام .

فإن أساءوا إليك فارحم ضعفهم واشفق على رعونتهم وعجلهم ، ولا تصحب إلاَّ من يذكرك بالله قوله ويأخذ بيديك إلى الله فعله ، وصحبة الناس لا تأتى إلاَّ بالقيل والقال فلا تخالطهم إلاَّ لطلب علم أو إصلاح حال ، والطريق معلوم ولكن الهوى هو الذى يبعدك ·

وما من إنسان إلاَّ وعرف طريق الحق ولكن الهوى يطغيه والنفس تلهيه · أما الابتلاء فهو سنة من سنن الله فى الكون تعرض له الأنبياء والرسل ، والمؤمنون جميعا ، قال ﷺ : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه فإن وجد فيه صلابة زيد له فى الابتلاء » ·

والابتلاء يكون بالنعمة والبلية ، واعلم أن الابتلاء بالنعمة أقسى على النفس وأشد ولا يقف على حدود الأدب فى حال النعمة إلاَّ قليل ، فالنفس فى البلية لا تجد حظها وداؤها ظاهر وواضح ومداواة ما ظهر أيسر وأسهل من مداواة ما خفى ، ولابد أن تكون مواقفك محسوبة والمفاضلة سابقة الحق أو الباطل واعلم بأنك بعت النفس والمال من أجل الجنة وكل بلاء دون النفس يسير فالأمر لا يحتاج إلى نقاش أو تفكير وإنما فيه فصل سابق وتدبير ، ويحضرنى فى هذه اللحظة موقف أحد الصحابة وكان صائما فى معركة وقد وقع عليه الاختيار أن يكون ضمن جماعة ستدخل وسط الأعداء لفتح ثغرة وهم مقتولون لا محالة فسمع أميره يقول للجند اشربوا فأمسك الكوب بيده وقال والله لولا طاعة أميرى ما شربت فليس لى بها حاجة - وحقًا لم يكن له بالشراب حاجة وهو سيقتل وكان صائمًا فيلقى ربه صائمًا ولكنه خشى أن يسأله الله عن عدم طاعة أميره - وأنت فى معركة الحق والباطل لا ترضى أبدًا عن نفسك ، فأساس كل غفلة ومعصية الرضى عن النفس وكن همزة وصل لا همزة قطع ، وأعلم بأن سبب الوصل هو خفاء الهمزة وأن ظهورها يسبب القطع · فادفن نفسك فى أرض الخمول حتى يتم نتاجك وحتى تكون حلقة وصل بين أهل الحق ·

* * *

● **العمـــــل :**

إن من أكثر الأخطاء شيوعًا وأخطرها اعتبار الوسيلة غاية ،فالخطب والمقالات والكتب وعرض الأفلام كل ذلك لا يعادل أبدًا وجود تجمع عملى واقعى منهجه الإسلام ، وترجمة الأقوال إلى سلوك هو العمل ·

لابد أن يعمل الإنسان لنفسه ولأهله ولجماعته ، ونقصد بالجماعة الأمة الإسلامية كلها ، وكل إنسان أودع الله فيه طاقة ومقدرة لابد أن يفرغها حتى تستفيد بها الجماعة ، والتناسق والترابط قوى وشديد ، والجميع يخدم الجميع وإن لم يشعر ، والإنسان خلق لعمارة الأرض والاستخلاف فيها وكان عليه أن يقوم بواجبات هذه العمارة والخلافة ، فهو لا يعمل ليحصل رزقه وحسب لأن الله هو الرزّاق ذو القوة المتين ولا يعمل ليسعد أهله وذويه لأن كل منهم عليه أن يعمل ·

المراد أن يعمل من أجل عمارة الأرض ، وضع الله فيك قدرات إذا عطلتها أثمت وعوقبت ولن ينفعك آنئذٍ أن تتبجح وتقول لم أكن بحاجة للعمل لأنه بموجب أنك فرد فى أمة عليك أن تستنفد كل طاقتك وقدراتك فى عمارة الأرض ، ومن يضطلع بمهام وأعمـــال أولئك الذين فقـــدوا قدرتهـــم لسبب أو لآخر إن لم يكن أنت !! ·

وبقدر تقسيم المولى عز وجل قدرات الناس تنوعت أعمالهم كل حسب ما أريد له لا ما أراد ، فعليك أن تفتش بدقة فى قدرتك ، وتحدد بأمانة مع نفسك العمل الذى يتاسب هذه القدرات ثم تقدم عليه بكل عزم وهمة وإتقان وإبداع ·

من أهم أسباب الفشل الذى يعترى الأفراد هو عدم الصدق مع النفس فى تحديد العمل الذى يتناسب مع قدرات المرء ·

وعدم وضوح الهدف الذى يكون فى مقدورك أو لا يكون ، فالمشاهد أن الناس تبحث عن العمل من خلال اسمه وبريقه ولا يفكر لحظة هل قدراته تتناسب مع هذا العمل أم لا ؟

ولو فطن الإنسان أن كل عمل يعمله يقدم نفعًا وعمارة للأرض وأنه ضرورى شأن أى عمل آخر ، لو عقل ذلك لأقدم بصدر رحب وعاطفة حية وهمة قوية فأتم عمله إيّما إتقان ·

وليعلم الإنسان أن العمل غير العِلم والثقافة ، فأنت بعد تحصيل العلم الضرورى بأحكام الدين وأيا كانت ثقافتك فإنك يمكن أن تستخدمها فى العمل الذى يتناسب مع قدرتك وميولك الحقة ·

ومزارع حصل على أعلى الشهادات ولديه ثقافة واعية ومعارف جمة هل فى هذا عيب !! ؟ لا بل ما أتقنه فى مهنته وما أسعده وهو يمارس عمله وذلك الأمر بالنسبة لكل الأعمال ، المرء مطالب بالسعى فى الأرض والضرب فى مناكبها والبحث والتنقيب فى مكوناتها ومكنوناتها ·

واعلم بأن هناك أوقات تسمى بالطوارئ تضطر فيها مجبرًا لأن تعمل أكثر مما تعمل وأن تتحمل أعباءً أشدّ ، وهذه الأوقات تحدد مدى احتياج من حولك لعملك ·

فعندما يتاخم العدو حدود الوطن وعندما تحاصر الأمة الإسلامية فى هذه الحالة عليك ألاَّ تترك مثقال ذرة من جهدك إلاَّ وأفرغتها من أجل أمتك ·

وعندما تتعطل قدرات من حولك عليك أن تعمل بقدراتك لهم ،ومناط الأمر أن تفهم وتعى أنه وإن كان ما يتم الوصول إليه من ثمرة عملك وجهدك تحوزه أنت فإنك لا تحوزه لأنه يخصك وحدك وإنما تبذله للآخرين عن طوع وإرادة ·

فعلاقتك بما لديك علاقة المؤتمن بالأمانة ، فإذا حبست ما لديك من حاجة الآخرين أو إذا بذلته فى غير موضعه الذى يساعد على عمارة الأرض ورفع دين الله فيها فإنك فى الحالتين تعد خائنًا للأمانة ·

ولتعلم أن للعمل غايات ضرورية وهامة لابد أن تحققها من خلال عملك فهو ليس مقصورا على ملء البطون وستر العورات وتشييد القصور ، وإنما لابد

أن تسخره فى النهوض بمن حولك وملاحقة التقدم العلمى والاستعداد الحربى ألم يأمرك ربك بقوله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[1] ومن يقوم بهذا الإعداد إذا تخاذل عنه الأفراد والعمل على تعدد أنواعه مقيد بشرط هام هو أن يكون لعمارة الأرض وتحقيق الخلافة فيها ٠

وعمارة الأرض لا تعنى تزيينها وتلميعها وزخرفتها ،لا ، إنما تعنى ما يصلح من حالها ويستخرج ثروتها وجعلها عامرة بالخلق وبمقومات المعيشة عليها وذلك بتوفير المأكل والملبس والمشرب والمسكن ، والأمن ، ولن يتحقق ذلك إلاَّ ببناء وإحياء كل ما هو مصلح وهدم وإبادة كل ما هو مفسد وضار ٠

فالعرى الذى تفشى والمواخير والمسكرات وأماكن الهلوسة والمجون والميوعة والانحلال والانحطاط الخلقى والشواذ الجنسى والصخب الذى يسمى فنًّا وهدم القيم الذى يسمى تقدمًا وما ينشر على الناس صباح مساء وما يشاهدوه من إعلاء للفجر والعهر والمثيرات الجنسية كل ذلك إفساد للأرض ولا تتم عمارتها إلاَّ بإبادته والقضاء عليه ٠

وكل عمل يبذل من أجل هذه الأهداف القذرة العفنة النجسة يكون فيه خيانة للأمانة مع الله واستعمال القدرات التى وهبها الله لخلقه فى غير ما يريد سبحانه وتعالى بل فى محاربة الله ، وهل بعد ذلك قبح أو وقاحة ٠

وأىّ إنسان أيًّا كانت ديانته ملزم بمحاربة هذا الفساد ، فما بال أحوال المسلمين وثمرات أعمالهم مسخر أغلبها فى مجالات الوحل والخسة والنتن والجنس والنجس سواء من خلال ما يسمى بالفن أو ما يسمى بالتقدم والتنوير ٠

وفى الوقت الذى ينادى فيه المسيحى بوقف هذه المهازل والهراءات نجد من المسلمين من يطالب بدخولها والإبقاء عليها ٠

فى شهر يوليو ١٩٩٣ صدر كتاب فى ألمانيا يسمى « التحرى الإسلامى » وفى فرنسا كتاب يسمى « الغزو الإسلامى » وهم أم حقيقة « وفى أمريكا كتاب

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٠ ٠

اسمه « الحملة الصليبية ، قصة لم تذكر » ويقصد بها حرب الخليج التى احتشدت فيها قوى الباطل لضرب المسلمين بالعراق ·

أنا لا أقصد الدخول فى هذه الأمور ولكن كل ما أقصده هو أن أوضح كيف نفكر ونعمل وكيف يفكر أعداء الإسلام ويعملون ·

نحن نعتبر الغرب صديقًا لنا وهم يعتبرون المسلمين عدوهم الأول والأخير ،فنحن نهتم ونثير قضايا ومناقشات حول الموضة والتقدم والتنوير وهبوط السينما والفن ، وتهتز الدولة كلها من أجل لاعب كرة فى الوقت الذى يهتم فيه أعداؤنا بالذرة والقنابل النووية والتسلح والعلم والاختراعات التى تخدم البشرية وتعالج الأمراض ·

والفرق كبير جدًا بين ما نحن عليه وما هم عليه وكل جهد يبذل فى تمييع هوية المسلمين والكيد لهم ويهدف إلى إشاعة الفوضى والانحلال هو خيانة لله ولا يعد عملاً بحال من الأحوال ·

وأعلم بأنك مطالب أن تعمل من أجل العقول والأفكار لا من أجل البطون والديار فحسب ، إن اليد التى تمسك بالقلم فتشيد بالرذيلة والعرى وتحارب الاحتشام والتمسك بالقيم هل هذه اليد عملت صالحا أم عملها بائر طالح وهل بعملها هذا تتحقق بوعد الله أم على العكس تنقض الوعد ولا تأبه به أليست هذه اليد النتنة فى حاجة لأيد نظيفة تعمل جاهدة لتعويق حركتها ودرء مفاسدها وإحياء المبادئ والقيم ، إن الرجل الذى يتبرع بنصف مليون جنيه لشراء لاعب كرة من نادٍ لآخر فى الوقت نفسه الــذى يعيش فيه آلاف الأسر فى عشش من الصاج ويموت فيه آلاف الأطفال من سوء التغذية ويعانى فيه الكثير من الناس ارتفاع أسعار الدواء ويذبح فيه المسلمون فى البلاد المجاورة ، هل عمل هذا الرجل صالحًا وهل هذا وأمثاله يتحققــون بشروط الوعــد مع الله ·

إن عمارة الأرض لا تقتصر على ما تحتاجه الأبدان فحسب وإنما لابد أن تعمر بما تحتاجه العقول والأرواح فلم تسقط حضارة ولم تضعف دولة ولم تنهار

أمة بسبب نقص غذاء الأبدان وإنما كل الحضارات التى سقطت والدول التى ضعفت والأمم التى هوت كان سببها الأول والهام هو فقدان غذاء الأرواح وبعدها عن المبادئ والقيم والأدب وانغماسها فى الوحل الجنسى وعفن اللذات والشهوات .

لم تسقط حضارة الهند إلاَّ بعد أن جعلت من آلة التناسل إلآهًا تعبده وبعد أن أصبحت المعابد مواخير تقدم فيها الفتيات أنوثتهن وبكارتهن قربانا .

ولم يسقط الفرس والإغريق والرومان إلاَّ عندما انحطت أخلاقهم وسفلت أفكارهم ووحلوا فى نجاسة الجنس وما نشاهده اليوم من تردى فى السويد وأمريكا وفرنسا وانجلترا سببه الأول هو الانحطاط الخلقى والإباحة الجنسية والشذوذ وفوضى الأخلاق والمبادىء .

إن الإحصائيات مخيفة عن نسب الانتحار وتفشى الأمراض وضعف القوى البشرية فى هذه البلاد التى تلمع ببريق المدينة الزائف .

العمل الصالح يعنى الالتزام بالشرع فى المعاملات وعدم قصره على العبادات فحسب ، إن أكل الأموال بالباطل وبيع ما لا يباع كالضمير والعرض وغير ذلك نقيض للعمل الصالح ، سعيك فى طلب الرزق لك ولمن معك عمل صالح إذا لزمت الحدود .

وتسخير جهدك فى البحث عن وسيلة تخدم بها الأمة الإسلامية فى أى مجال من المجالات عمل صالح ، وقوفك فى وجه الباطل لدحضه عمل صالح .

الدعوة إلى الطهر والعفة والالتزام بمنهج الله فى الأرض عمل صالح ، كشف مخططات الأعداء والعمل على هدمها وتبصير الأمة بمضارها عمل صالح .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء الشهادة على وجهها وكفالة اليتيم ومد يد العون للمسلمين عمل صالح .

واعلم بأن الإسلام منهج قويم لا ينقصه فى هذه الفترة سوى العمل فلا يوجد مجتمع أيًّا كان حجمه أو مكانه يطبق منهج الإسلام فى الحياة ورغم ذلك فإنه باقٍ وكل الأعداء تخافه وتخشاه لأنها تعلم مدى أثره وصلاحيته إذا وجد السبيل للتطبيق العملى ، فكن واقعًا عمليًا للإسلام فى كل سلوكك وتصرفاتك وأقوالك .

وأعلم أن البشرية كلها تشقى وتعانى من يوم أن غاب الإسلام عن الحياة وأنها لن تجد علاجها ولن يأخذ بيدها من التردى والدمار إلاَّ تعاليم الإسلام التى لابد أن تطبق يومًا ما .

إن أسمى صور العمل الصالح الالتزام بمنهج الله فى الحياة وعدم البعد عنه لأنه يعد العرض الفعلى للإسلام من ناحية ولأنه السبيل الوحيد للنجاة من ناحية أخرى .

وإن تخلف هذا الشرط من شروط الوعد الحق جلىّ وواضح لكل ناظر ورائى فلا يوجد مجتمع واحد كما قلنا يلتزم بشرع الله فى نواحى الحياة بل تستطيع أن تعد على أصابع اليد كلها من يطبق منهج الله فى حياته - إلاَّ من رحم ربك .

وعناصر العمل الصالح هى : الوقت والجهد والمال والأفكار ، ويجب أن يكون كل عنصر من هذه العناصر صالحًا حتى يكون العمل فى مجمله صالحًا ، فالوقت الذى تقضيه لاهيا غائب الوعى مطموس المدارك لا يمكن أن يؤدى فيه عمل صالح .

والجهد الذى تبذله فى التصفيق والرقص والغناء والمجون لا يمكن أن يؤتى عمل صالح ، والمال الذى تستخدمه فى الرشوة والظلم وتأكله بالباطل وتشبع به الشهوات وتبنى به بيوت اللهو وحانات الخمر وصالات الرقص ودور المسرح والسينما كل ذلك لا يمكن أن يكون عمل صالح .

وإذا حركتك فكرة غبية خرساء تحارب فضيلة وتحيى رذيلة أيا كان المسمى الظاهرى لها تقدم أو مدنية لا يمكن أن يبنى عليها عمل صالح .

واعلم بأن العمل الصالح ليس تطوعًا منك لك الخيرة فى القـدوم عليه أو الإحجام عنه إنما هو شرط أساسى لابد من توافره مع الإيمان والإخلاص ليتحقق الوعد الحق، ثم هو أيضا مع الإيمان شرط لدخول الجنة وشرط للفلاح وعدم الخسران فالآيات جاءت تقول ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (١) فى أغلبها ٠

الرهبانية منهى عنها فى الإسلام والمكوس فى الصوامع والأديرة والمساجد من الولادة وحتى الموت ينافى منهج الإسلام لأنه دين لعمارة الأرض والحياة ٠

ترك العمل الصالح إثم ، اللهمَّ إلاَّ فى أحوال يتركك فيها السبب لا أن تتركه أنت ، ويكون مراد الله منك مجرد عبادته ٠

وأن اللعب واللهو - كرة القدم وغيره - بعيدًا عن حكم الشرع فى جوازها أو عدم جوازها يجب ألاَّ يكون لها بيننا مكان الآن ونحن نُحارب ونذبح والعدوّ فى وسط أمتنا ويأكل من أطرافها ٠

كيف يلعب من يُقتل أخاه ويُحاصر ويُذبح فى فلسطين وفى لبنان وفى الصومال وفى العراق وفى البوسنة والهرسك كيف يتفرج على الكرة من يتآمر عليه المسيح واليهود ٠

أليس الواقع ينطق بمرارة ما نحن فيه ألا تئن الأيام وتبكى مما يحدث لنا فكيف نهتف ونصفق ونلعب ونلهو ، يجب أن نتنبه وأن نستيقظ فكفانا نوما وغفلة لقد ضاعت أجزاء كثيرة من أجسامنا ألم نشعر بالألم !! كل منّا مطالب أن يعمل فيما يتيسر له من عمل صالح وأن يوقف ما نحن فيه من لهو ولعب يدل على سذاجة وعباطة فى طبعنا ، وبلادة وعدم إحساس ٠

إن صلاح الدين الأيوبى لم يبح لنفسه الضحك عند احتلال المسجد الأقصى حتى حرره فكيف نبيح لأنفسنا اللعب واللهو وحفظ الأغانى ومشاهدة

---

(١) سورة البقرة : آية ٨٢ ٠

المباريات وكل بلاد الإسلام تحت نير الاحتلال ، وبروتوكولات صهيون تنفذ حرفيًا ومن يحاول أن يكشف ألاعيب اليهود يقتل وكان آخرهم « جمال حمدان » وأنا واثق أن هذا الاسم لا يعرفه أحد ولو كان راقصًا أو لاعبًا لعرفت كل تفاصيل حياته ،أفيقوا واعملوا فقوتنا - طعامنا - نستورده من أعدائنا ٠

إن الجهـد والمـال الذى يرصد لقطاعات الفن والكرة لو تم توجيهه لنشاطات أخرى لاستوعب الأيدى العاطلة وأغنانا عن الاحتياج لأعدائنا ٠

العمل على إزالة التعتيم الإعلامى الذى يعيشه العالم الإسلامى فكل معلوماته وأخباره ننقلها عن مؤسسات اليهود الإعلامية والتى تسير وفق مخططات اليهود ومصالحهم بعيدًا عن الحقيقة العمل على إزالة هذا التعتيم عمل صالح بل واجب تقتضيه طبيعة العصر ٠

إن الجهاد فرض فى الإسلام ونحن فى أحد حالات تعيينه فهو فرض كفاية يتعين عندما يحتل العدو أرض المسلمين ويستنصر أهلها ، هذا الجهاد الفرض عمل صالح بل أسمى الأعمال الصالحة وذروة سنامها وأشد الناس كرها عندى ذلك المتبجح المحتج بأن الحاكم أو الحكومة تريد ذلك ، لأن الحاكم لا يكره أبدًا أن يكتفى الشعب ذاتيًا ،ويوفر عليه ذل السؤال ٠

ولأن الحكومة لم تصدر تشريعًا تحرم فيه العمل وتأمر باللعب ، الخطأ كل الخطأ عندنا كأفراد ، فرغم فساد الحزب الحاكم فى اليابان إلاً أن الشعب استطاع أن يصبح القوة الاقتصادية الأولى فى العالم كله ٠

وفى الوقت الذى كانت تبحث فيه البلاد الإسلامية تقوية فرقة كرة القدم بها وفى المهرجانات والبطولات كانت اليابان وإسرائيل تبحث كيفية التسلح النووى والتقدم التكنولوجى وعوامل زيادة الإنتاج ، وأكثر منه كرهًا عندى ذلك الداعية الذى يلعب ويشاهد المباريات ويخطب فى الناس واعظا فما أحمقه وأغباه إن ظن أن الناس منه تتعظ ٠

واعلم بأنه يجب على كل مسلم أن ينسق عمله مع الآخرين وأن يكون

هناك تنظيم لهذه الجهود وتنسيق بينها حتى لا تضيع سـدى وحتى يتم إنجـاز ما تستطيعه القدرات فى أقرب وقت .

هذا التنظيم يجب أن يكون هدفه تنسيق الجهود وتسخيرها فى خدمة المسلمين ويجب أن يشهد الناس ذلك وأن يلمسوه حتى يقدموا على التعاون معه .

* * *

● **الدعاء :**

قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾(١)وقال : ﴿ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢) وقال رسول الله ﷺ : « الدعاء مخ العبادة » تعجز عن شىء فماذا تفعل ؟ تضع يديك على خديك أم تلجأ لمن بيده كل شىء تطلب منه العون والمساعدة إن موسى عليه السلام قال يا رب إنى تعرض لى الحاجة فاستحى أن أسألك فقال له تعالى يا موسى اسألنى حتى ملح طعامك وأى الناس سأل الله فلم يعطه أو لجأ إليه مضطرا فلم يقض حاجته ويزيل ما به من غم وحزن .

إن الدعوة المستجابة تعدل العمل بل تفوقه لأنها تحقق النتيجة من الله مباشرة ، إن الحرمان من الدعاء عقاب لا يقدر عليه من يعرف قدر الله، وجريان اللسان بالدعاء بشرى خير وأمارة على تحقق المدعو به .

وهل يمكن لذاكر أن يتجاهل الدعاء عند نزول كرب بالمسلمين ، وهل يعرف قدر الله من إذا عجزت الأسباب التى بين يديه يأس وولى الدبر .

إن الدعاء يجب أن يلازم المؤمن دائمًا فهو مخ العبادة كما قال ﷺ ، وهو مطلوب من المسلم ومن حق الله عليه القيام به فالحوائج كثيرة وقد لا تعطى إلاَّ عند الدعاء .

فى شأنك الخاص كن داعيًا لله آناء الليل وأطراف النهار ، ادعوا الله

---

(١) سورة الأعراف : آية ٥٥ .　　(٢) سورة غافر : آية ٦٠ .

ليوفقك فى عملك وفى الطاعة وأن يبعد عنك ذل المعصية وأن يذيقك حبه ومعرفته والأنس بطاعته وأن يجنبك الهمّ والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال ·

وكان ﷺ يكثر من الدعاء وله أدعية مأثورة كثيرة ، وفى شأن عامة المسلمين تكون حاجتك للدعاء أشد ويتعين عليك عندما يقاتل الأعداء إخوانك المسلمين فى أقصى الأرض وليس لك من الأسباب ما يوصلك لأرض القتال عليك أن تلزم الدعاء لهم بأن ينصرهم الله وأن يفشل مخططات أعدائهم وأن يحقن دماء المسلمين ويستر عوراتهم ويقوى ضعفهم وبقدر إخلاصك فى الدعاء يتحقق النصر لهم إن شاء الله ·

إذا قال لك صديق إن فلانا له منصبا هاما فى المكان الذى فيه حاجتك ألن تذهب إليه !! وبعد أن تذهب ألن يثلج صدرك اطمئنانا بأن حاجتك ستقضى ·

فما بالك لا تلجأ لمن بيده كل شىء ولا ينازع سلطانه شىء ولا يدانى عزه شىء ولا يمكن أن تدركه الأغيار ألا تلجأ إليه وما بالك إن لجأت لم تكن واثقًا فى الإجابة مع علمك بأن إرادة من دعوت - الله - لا يحدها حد ، ولا يقيدها قيد، وأن مراده كن فيكون ·

قلت لأحد الزملاء مرة أننى سأتقدم لهذا الأمر اعتمادا على معرفتى من يملك أن يأمر رئيس هذه المصلحة التى بها الأمر فلابد أن يطيعه بل يملك أن يحركه دون إرادة منه ويملك أن يقيله من عمله وأن يجرى يده بما لا يريد ·

وكل شىء لا يتم إلاّ بإرادته فألح زميلى كثيرًا فى معرفة من أعتمد عليه ورأيته قد حسدنى على هذه المعرفة وراح يذكر أسماءً من هنا ومن هناك ولم يخطر بباله قط أننى أعتمد على الله وأنه وحده الذى يملك تحقيق الأمور أو تعطيلها ولا شىء يمكن أن يستعصى عليه ،ولما قلت لزميلى أنه الله · أدلى رأسه خجلا ·

لماذا لا يلجأ الإنسان إلى الله فى كل شئونه ، كان ﷺ من دعائه « اللهم أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى لنفسى طرفة عين » ·

المسلم فى حاجة لأن يعرف قدر الله وأن يلازمه من اليقين ورسوخ الإيمان ما يجعله يشهد إرادة الله فى كل ما يحدث حوله ·

كان ﷺ يقول إذا أصبح « اللهمّ ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك » وكان يقول نفس الدعاء فى المساء ، وقال ﷺ لمعاذ « يا معاذ إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ، إن هناك انفصامًا فى شخصية المسلم « والشرخ » واضح جلى يلمسه من يتعامل معه فالمسلم يقول الله أكبر ويؤمن بالله وبالقضاء والقدر ويعرف أسماء الله وصفاته وأن كل شىء سبق حكم الأزل ثم نراه يرشى ويحتاج لواسطة ويلجأ إلى بشر لدفع ضرر وجلب نفع ثم يقف عندهم وكأنهم كل شىء وكان عليه إذا لزم الأمر أن يعلم أنهم أسباب حركها المولى عز وجل ·

إطابة المطعم شرط لإجابة الدعاء فالأكل الحرام يحول دون إجابة الدعاء قال ﷺ : « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » وقد كان ·

وحضور القلب شرط الدعاء :

مر موسى عليه السلام برجل يدعو ويتضرع فقال موسى إلهى لو كانت حاجته بيدى لقضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه وإنى لا أستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك فانقطع إلى الله بقلبه فقضيت حاجته ، الثقة فى الإجابة لمعرفة الله وقدرته شرط للإجابة ·

وأسرع الدعاء إجابة دعاء المضطر ودعاء المظلوم ولا تضيع دعوة سدى ، فإما أن يتحقق عين المدعو به وإما أن يتحقق ما فيه الخير لك ولو كان غير المدعو به وإما أن يدخرها الله لك ·

ولا تكن سىء الأدب مع ربك بأن تريد قضاء حاجتك وفى الوقت الذى تريده أنت ، بل ادعو الله وأنت واثق أن يجيبك بما يشاء متى يشاء ، لأنه الأعلم بما يصلح لك ·

ولا يكن فى تأخر الإجابة يأس لك أو قنوط ، جاء فى الخبر المروى أن العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل أخِّر حاجة عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته وأن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقضى حاجة عبدى فإنى أكره أن أسمع صوته » .

ولا تترك الدعاء إذا لم يتحقق المدعو به لأنه نكوص على العقب وفرار وجزع وإنما ليدم يقينك أن بالله وحده تقضى الحوائج قال ﷺ : « والذى نفسى بيده إن العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له » واعلم بأنك متى تحققت بأوصافك وعرفت أسماء الله فشعرت بالضعف وعرفت القوى وبالفقر وعرفت الغنى وبالعجز وعرفت القادر وسألت مولاك بأوصافه فقوى ضعفك وأغنى فقرك وأقدر عجزك وذلك هو المقصود بالدعاء بأسماء الله الحسنى والله أعلم .

ومن الأدب مع الله ألا تسمى حاجتك بل تدعو بالتوفيق فى الطاعات والأعمال وتترك لمولاك اختيار ما يشاء قال ﷺ : « أفضل الدعاء الحمد لله » فيها شعور بالرضا والحمد وليس فيها تعيين المطلوب والمؤمن عندما يهم لسانه بالدعاء فإنه يخطر بقلبه النعم التى هو فيها وعطايا مولاه إليه فيخجل من أن يطلب لأنه أعطى بغير طلب وأعطى الكثير فلا يملك إلاَّ أن يقول الحمد لله فكانت أفضل الدعاء .

ولا يشغلك عن الدعاء شىء إلاَّ الذكر فإذا عرض لك الذكر فلا تتركه لتسأل حاجتك وإنما أعلم أن ذكر مولاك يضيع عليك نفعا ولا يلحق بك ضررا .

قال ﷺ خبرًا عن الله تعالى : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وحين تدعو ليكن بقلبك الرضا كل الرضا عن مولاك لأن من الأدب الرضا بالقضاء وليكن سؤالك عدم اعتراض وإنما تلبية لأمر مولاك بالدعاء .

واعلم بأن مولاك لم يتركك لتطلب ولم ينساك فتذكره وقد يقتضى الأدب منك ترك الطلب اعتمادًا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته ·

واعلم بأن طلبك من غير الله سوء أدب وقلة حياء إذا كان عطاؤه سبق طلبك فهل يحرمك حين تطلب ·

ولا تترك الدعاء عند الزلل لأنه لا يعطيك بسبب العمل فاعتمد على كرمه وإحسانه لا عملك وإحسانك ·

واعلم بأن العطاء يشهد بأسماء الله والمنع يشهد بأسماء الله الأولى أسماء الجمال والأخرى أسماء الجلال فكن شاهدًا عظمة مولاك فى الحالين ·

وأهم من الطلب حسن الطلب وحسن الأدب عند الطلب ، ومن علامات صدق العبودية الرضا بالمنع وبالعطاء ومن الأدب ألاً تدعو بحاجة من الدنيا وأنت فى صلاة فرض لله بل ليكن ذلك فى النفل والأفضل صلاة من أجل حاجتك تسمى « صلاة الحاجة » ·

* * *



المسـألة الثـالثـة

الإخـــــلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ . . . يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1] .

صدق الله العظيم

- **الإخلاص والصدق**
- **الخــوف والرجاء**
- **التقــوى والورع**

(١) سورة النور : آية ٥٥ .

• الإخـــــلاص :

إذا كان الإيمان والعمل الصالح من موجبات الوعد الحق ولازمان من لوازمه فإنهما وحدهما لا يكفيان لذلك بل لابد من الإخلاص ﴿ يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ﴾ (١) وإن نظرة سريعة للواقع من حولنا تؤكد أن الإخلاص هو العنصر المفقود من هذه العناصر الثلاث يعزى إليه ما نحن فيه، فالدعاة كثيرون - فضلا عن إسلام الجميع - واللقاءات والخطب والندوات والدروس والكتب والإصدارات لا تحصى ورغم كل هذا لم يتحقق الوعد الحق وذلك لغياب الإخلاص . والإخلاص لا يعنى - كما يرى البعض - العزلة عن الناس وعدم اطلاعهم على الأعمال أو الأقوال ولا كما يرى آخرون فى انحناء ظهر وتدلية رأس وارتداء ما بلى من الثوب - إنما الإخلاص هو ابتغاء رضا الله بالعمل أو القول وأن يكون عملك وقولك لله فالنية لها دورها الهام فى هذا الشأن ولا يكفى أن تدعى ذلك .

فإذا كان دافعك هو رضا الله سوف تبحث عن الصواب وتأتيه ولن تتعارض مع الآخرين فى ذلك فهذا الانقسام فى الجماعات الإسلامية من أهم أسبابه ضعف الإخلاص لديهم وليس فى ذلك استغراب أو عجب فمن الممكن أن تدخل المعتقلات والسجون باسم الدين وتكون بعيدا عن الإخلاص فى ذات الوقت وهــذا يعنى الفرق بين الإخــلاص لفكرة أو مبـدأ وبين الإخلاص لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) ربما تخلص لفكرة أو مبدأ وتضحى من أجله ولا تعمل لمصلحتك الذاتية إنما لهذه الفكرة ولهذا المبدأ وتجتهد وتتباحث وتكدح ولا تنام كل ما يسيطر عليك هو نجاح هذه الفكرة أو ذاك المبدأ كل هذا ليس إخلاصا لله وليس من موجبات الوعد الحق - وإن كان من عوامل النجاح فى الأمور .

فالشيوعى قد يضحى ويعمل من أجل فكرته ويعتقل ويناضل ، ليس لله فى ذهنه وجود اللهمّ إلاَّ عند نزول البلاء به كل حركاته وأفعاله غير مرتبطة بالله، كذلك العلمانى أو غير ذلك .

(١) سورة النور : آية ٥٥ . (٢) سورة الأنعام : الأيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

أما المسلم المخلص فهو يشهد الله سبحانه وتعالى فى كل حركاته وأفعاله، قوله وفعله لله وينطلق من تشريع الله له فيتساءل أولاً: هل ما سيقدم عليه من قول أو عمل مباح أم حرام ؟ فإن كان حراما اجتنبه وإن كان حلالا توقف وسأل نفسه هل فعله خير أم تركه خير ؟ فإذا كان الثانى تركه وإن كان الأول توقف وسأل نفسه هل يريد به وجه الله وثوابه أم يريد الجاه والثناء والمال من المخلوق ؟ فإن كان الثانى لم يقدم عليه وإن كان أفضى إلى مطلوبه حتى لا يعتاد الشرك بالله وحتى لا يثقل على نفسه العمل لوجه الله وثوابه ، ثم إذا هو أقدم عليه مريدا لوجه الله وثوابه لا يضيره أن يجد معه آخرون فى هذا العمل ولا يضيره أن شاهده الآخرون وهو يأتيه وكل من تحقق بالإخلاص فى عمله لا يختلف أبدا مع أهل الحق وأتباعه .

ومن ثم فهذا التشتت فى الجماعات الإسلامية مرده عدم التحقق الكامل بالإخلاص ، لأن الإخلاص بخلاف الخشوع فى الصلاة وسائر العبادات فإذا كان الخشوع يعنى التعقل التام لكل مفردات العبادة وفقه أدائها فإن الإخلاص يعنى استهداف وجه الله وثوابه بهذه العبادة ، وعدم الإخلاص يسمى باطن الإثم ولا يسلم منه إلاَّ قليل وكثير ممن دخلوا المعتقلات وتنقلوا فى البلاد لا ينامون ليلا ولا يرتاحون بالنهار فعلوا كل ذلك ولم يستهدفوا مصلحة ذاتية لهم، ومع ذلك أخلصوا لفكرة وخدموا مبادئ وأفكارًا ولم يستهدفوا وجه الله ولا ثوابه حتى ولو كان يهدف نصرة جماعته ،الإخلاص لله عماد الأمر كله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ العَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾(١) لله وليس لفكرة وليس لمبدأ وليس لجماعة وليس لدعوة ﴿ قُلِ اللهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) .

إن التفرقة بين ما لله وما لغيره دقيقة وصعبة لا يقدر عليها إلاَّ قليل ، فإن كان من السهولة التفرقة بين ما للمصلحة الذاتية الشخصية وما لغيرها فإن التفرقة الأولى تصعب على الكثير ، ولذلك كان من أفضل النصائح وأنجعها للمسلم « تجديد النية » عند الإقدام على أى عمل بأن ينوى أنه لله .

---

(١) سورة الأنعام : الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ . (٢) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

وحتى يتحقق المرء بالإخلاص عليه أن يتقى الله أولا وذلك وسيلته الخوف والرجاء والصدق .

● **الصدق** : هل يتصور أن يتحقق نصر على يد كاذب ؟ إذا حدثك كان مصير حديثه الإهمال والتجاهل وإذا اقتضى الأمر إسناد فعل له لم يفكر فى إنجازه إنما يفكر فى تزيين الاعتذار عنه ؟ .

الصدق ثم الصدق أهم ما يميز المسلم عن غيره لقد أجاز رسول الله ﷺ فى حديثه أن يكون المسلم بخيلا وأن يكون جبانا ولكنه لا يكون كاذبا والفتنة من الكذب فيجب الصدق مع الله ومع النفس فالصدق مع الله لن يتحقق إلاّ إذا أفرغت طاقتك واستنفدت جهدك ووسعك ، فإذا اعتذرت لضيق وقت فى حين تقف بالساعات دون داعٍ على الطرقات أو فى المنتديات أو تتسلى فيها بأشياء وأشياء أو حتى تجلسها فى بيتك دون فائدة فهل تكون قد صدقت الله عندما اعتذرت لضيق الوقت كذلك إذا كان هذا العمل فى مقدورك لكنك تكاسلت عن القيام به لبعد مسافة أو لمشقة مقدور عليها أو لعدم وجود حظ للنفس فيه من مصلحة أو ذيوع صيت ، هل تكون قد صدقت الله عندما اعتذرت بقلة جهدك وعدم طاقتك ؟ ما أظنك قد صدقت فى الحالتين ، يجب أن يحضر فى ذهنك دائما أنك تتعامل مع الله الذى يعلم كل شىء ، ما أخفيت وما أعلنت ، وما صدقت فيه ، وما ادعيت ، ولك أن تسأل نفسك ترى لو كان هذا العمل - المكلف به - زيارة أهل أو عقدًا لصفقة أو ارتقاء لمنصب أو أداءً للامتحان هل كنت لن تذهب لضيق وقتك أو قلة جهدك أو عدم طاقتك!!

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾[1]

وتذكر دائما هذه الآية الكريمة واخشى أن تندرج تحتها ثم بعد ذلك لابد أن تصدق مع الله فى إفراده سبحانه بهذا العمل أو الترك فلا يكون ما فعلته أو تركته إلاّ إتقاء لوجهه وثوابه ، هل فعلت أو تركت لله أم لجمع مال أم لرغبة فى اشتهار بجود يد أو حسن صوت أو قوة جسد أو جرأة على الخلق وعدم الخوف من الرؤساء والمسئولين ، وتذكر دائما حديث الرسول ﷺ : « من

(١) التوبة : آية ٤٢ .

كانت هجرته لله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

أما الصدق مع النفس فيكون باتباع الحق وورودها موارد النجاة والنأى بها عن طرق الهلاك والبوار والوقوف منها بصدق لمعالجة العيوب ومواطن التقصير فإذا مدحك الناس أو انحنوا أمامك لتقوى ظاهرة أو علم لا مع استشعروه فيك إثر بكاء فى صلاة أو لباقة فى حديث فلا تفتر وتنسى ما فيك من الزلل والنقصان وتذكر دائما قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [1] مع مراعاة أن عدم الصدق فى العمل كعدم فعله أو أشدّ سوءًا وإثما لأن ترك العمل تقصير وإتيانه لغير الله رياء ونفاق والناس لا تحمد فيك البكاء أو العلم أو العمل إلاّ لحسبانهم أنه لله وإلاّ فما أكثر البكائين والمتشدقين والمرائين .

الصدق مع النفس للخلوص من الجهل والعدول عن الظلم وعدم الاستكانة لاستكثار خير أو الاستهانة بقبح الذنب فتأتيه ، والصدق مع النفس يكون بالصبر على الشهوات والدفع بالحق عن الشبهات وفى ذلك النصر كل النصر والكسب كل الكسب قال تعالى ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[2] الصبر والحق هما وسيلة النجاة من فتنة الشبهات وفتنة الشهوات .

أما الصدق مع الناس فمؤدَّاه صدق الخبر الذى تنقله والوفاء بالوعد الذى تأخذه والنصح بالحق متى طلب منك فلا يحتاج الناس لأيمان مغلظة تطمئنهم بصدقك إنما متى قلت صدقت ، وأعلم تماما أن الكذب فى الأمور اليسيرة مطية للكذب فى كل الأمور قال ﷺ : « إن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » وأن الصدق أساس كل خير والكذب أساس كل شر .

* * *

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨٨ .　　　(٢) سورة العصر .

• **الخوف والرجاء :**

إذا كان الصدق وسيلة الإخلاص فإن الخوف والرجاء كذلك ، فمن عرف قدر الله وعقابه وعظيم ثوابه لن يبتغى بعمله غير وجهه تعالى رغبة فى ثواب وخوفا من عقاب ، وما غفل لحظة عن قوله تعالى ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [1] ولا يعنى الخوف من الله ملازمة البكاء وضيق الصدر وعباسة الوجه إنما يعنى عدم اقتراف المعاصى والبعد عن الذنوب لو خاف كل منَّا من النار خوفه من الفقر لنجونا منها جميعا ولو عمل كل منَّا للجنة عمله للرزق لنلناها جميعا ، قابلت زميلا لى أصفر اللون قلق لا يستطيع أن يفصح عما يريد للعثمة شفتيه وخانه حاله فلم يخفَ على أحد فسألته عن السبب فقال : إن موعد الامتحان أقترب ، فسألته فى دهشة : أليس قد ذاكرت ؟ قال :بلى ، فقلت : فلما الخوف إذن ؟ قال : أسبابه عديدة، نوع الأسئلة ومدى فهمى لها وطريقة إجابتى ، وهكذا، فقلت لنفسى لو خاف كل منَّا من حساب الله ومن لقائه خوف هذا الرجل من الامتحان لدخلنا جميعا الجنة ، وتذكرت قوله تعالى :﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[2] وإذا كان امتحان الدنيا يمكن إعادته المرة بعد المرة فإن حساب يوم القيامة لا رجعة منه ولا فيه ٠

إن من كانت النار والخلود فيها عقابه حق له أن يلازمه خوف دائم لا بالبكاء ولكن يترك ما يعاقب عليه ، إن الذين ينتهكون حرمات الله ويتعدون حدوده دون خوف من عقاب ، شأن الأنعام التى ترتع فى حقول غير أصحابها ولو لقيت حتفها آنئذ ما كان قد ظلمها أحد ٠

كما أن أولئك الذين لا يطمعون فى ثوابه تعالى فى حين يكدحون من أجل ثناء زميل أو جار ما قدروا الله حق قدره ، والأمر لا يحتاج أن يكون المرء

---

(١) سورة الحجر : الآيتان ٤٠ ، ٥٠ ٠ (٢) سورة الأنبياء : آية ١ ٠

مخزنا للهموم والأحزان وإنما يحتاج يقظة فى التعامل والتساؤل عن حدود الله والتزامها ، إن الإسلام منهج حياة للإنسان يتيح له قضاء حوائجه ومداعبة أهله وإخوانه ما لم يكن فى ذلك إثم أو خطأ .

وإذا كان المرء يخاف أن يسقط من نظر الخلق إذا رأوه على معصية فكيف لا يخاف من الملك الحق ولا يعنى الخوف: اليأس من رحمة الله ، إنما يعنى: الخوف من عقابه .

وليلازم المرء الرجاء بجانب الخوف حتى يستقيم طريقه فلا يأمن عقاب الله فيتساهل ويلهو ولا ييأس من رحمته فيفجر ويقنط ، والرجاء يعنى ابتغاء وجه الله والعمل من أجل ثوابه لا مجرد تمنى الثواب جاء فى الحديث « أن قوما ألهتهم أمانى المغفرة وقالوا نحسن الظن بالله ،وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

ومما يقوى الرجاء لدى المرء يقينه فى الله وقدرته، ولتتأسى برسول الله ﷺ أثناء هجرته وعندما لحق به سراقة وكان مهاجرا سرًّا وليس معه غير صاحبه الصديق وحاله أشبه بحال الضعيف المطرود من موطنه ومسكنه ، فماذا قال ﷺ لسراقة لقد كان حديثه لسراقة دليلا على يقينه بالله يقينا لا يعادله يقين لقد قال له :« يا سراقة لك سوارى كسرى إذا أسلمت » .

ولتتعرف على عظمة هذا اليقين فى الله ، أجب مع نفسك على هذه التساؤلات : من هو كسرى ؟ وما قوة دولته ؟ وما النسبة بينها وبين قريش التى يهاجر منها الرسول تاركا وطنه ؟ وما عدد المسلمين حينئذ وما حالهم ؟

لقد كان كسرى قائد الفرس ، وهم أحد أكبر قوتين فى هذا الوقت فى العالم الأرضى كله، بل لقد كانوا ساعتها القوة الأولى لانتصارهم على الروم فلا قبل للعرب جميعا بهم فضلا عن قريش . والمسلمون يعيشون فى عناء وخفاء لا يقدرون على مواجهة قريش وحدها إلاَّ أن اليقين فى الله وقدرته جعل رسول الله ﷺ يعد سراقة هذا الوعد .

وأسلم سراقة لا لهذا الوعد فربما لم يستطع خياله أن يتصوره ، ناهيك عن انتظار تحققه ،بل ربما نسي سراقة ما قاله الرسول ﷺ آنئذ .

لقد أسلم سراقة لما حدث لفرسه مرة بعد أخرى وتوفى رسول الله ﷺ وفتح المسلمون الفرس وأخذوا سوارى كسرى وقلدوهما سراقة ، وتحقق وعد الرسول ﷺ ليظهر لنا مدى يقينه فى الله .

إذا وجد لدى المرء اليقين فى الله زاد رجاؤه فيه فأفرده بالعبادة فما فعل أو ترك يكون لله .

* * *

- **التقـــوى والورع :**

الفارق كبير بين من يترك الخمر لمذاقها ومن يتركها لحرمتها ·

والمسافة شاسعة بين من يقف على حدود الحـلال فاغرا فيه بارزا نابه ، ما إن برز لدائرة الحل شيئًا التهمه وبين من يترك الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ·

والشبهات دائرة وسط بين الحل والحرمة ومن نزل فيها لم يقترف حرامًا ولكن أوشك أن يقع فيه وقد نهينا عن الوقوع فى الشبهات وأمرنا أن نترك مسافة كبيرة بين مرتع نفوسنا وبين الحدود حتى نكون فى أمان ،فالتقوى واجبة للفوز والنجاة إن فقدت داخل المرء النار ولو معه حسنات كجبال تهامة ·

قال ﷺ : « يأتى يوم القيامة أقوام بحسنات كجبال تهامة بيضاء ، ألقوا فى النار ألا إنهم منكم ومن بنى جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون إلاّ أنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » ·

هم لهم حسنات كجبال تهامة وهم منّا ومن ديننا وهم يقومون الليل فما سبب دخولهم النار ؟ عدم تقواهم فإذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ·

المؤمن حاله فى الدنيا كمن نزل بوادٍ كله شوك فإنه يشمر ثيابه ويجتهد فى خطاه ولا يضمه إلاّ فى أقل الأماكن خطرا فلو ترك ثوبه لعلق به الشوك دون أن يريد ولو لم يجتهد لكان أكثر عرضة للإيذاء تدور على الأبواب لنيل ما تأمل وإذا كان ما حصلت عليه قليلاً تغضب وإذا فاتك شىء تجزع وتندم ، فأين إذًا تقواك ؟

لابد من حسن التوكل وحسن الرضا وحسن الصبر ، ولقـــد ورد أن أبا حنيفة لم يستظل بظل غريمه مخافة أن يكون ربا لأن ظل الجدار منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا ، وتجد من يسأل عن حكم الهدايا التى يأخذها من مدين له وهو يعلم أنها أتاوات فرضتها الحاجة ،ليس فيها رضا ولا قبول ،

الفارق كبير بين الاثنين ، رجل صالح يكشط طينة من جدار يغسل يده بها فيشعر أنه أخطأ ويذهب ليستسمح صاحب الجدار ، يختلف عمّن يأخذ من حقوق الناس إذا وجد شبهة تحل له ذلك .

إن هناك عيونا لا ترى في الأمر إلاّ شبهة الحل فيه مع أنه يقابلها ولابد شبهة الحرمة ، والفارق واضح بين هذه العين وتلك .

إن قوما يطلبون الستر فى المعصية ما برح نظرهم موضع أقدامهم وأين هم ممن يطلبون الستر عن المعصية ، فمن يتق نظر الخلق ليس كمن يتق نظر الملك الحق .

الأمر يحتاج يقظة دائمة وذكر لله دائم وذكر للموت ، وإذا كانت التقوى واجبة فالورع درجة .

فاتقاء الكفر إسلام ، واتقاء المعاصى والسيئات إيمان ، وإتقاء الشبهات تقوى ، واتقاء الفضلات ورع ، قال ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» .

وقال ﷺ : « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمعه » وقال أبو بكر الصديق : « كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقـــوع فى باب من الحرام ».

والورع فى المنطق والكلام أشد وأصعب على النفس من الورع فى الذهب والفضة فقد تستطيع أن تترك الأموال ولكن يصعب ترك فضول الكلام.

والمرء عبد لما هو طامع فيه ولا يكون حرًّا إلاّ عما يئس منه (وما استزل من استذل إلاّ بسبب طمع وما اعتز من اعتز إلاّ بسبب ورع) .

والورع ينظر إلى الدنيا بخلاف غيره فهو ينظر إليها بقلبه لا بنفسه ويرى من الأشياء عبرتها لا غرتها ويعتبر العطاء من الخلق حرمان لأنهم حرموه الأخذ

من مولاه كما أن المنع من الله إحسان لأنه ما منع عنك إلاَّ تخفيفا لك فى السؤال والحساب ، وتخفيفا لك من الانشغال ولم يتركك لشىء سواه - ولو فهم المرء المنع حق الفهم لعلم مدى النعمة فيه ·

والورع لا يتورع عن الأعمال فقط ، ولا عن الأقوال فحسب ، وإنما يتورع عن مدح الناس له فإذا مدحه الناس لم يشهد إلا عيوب نفسه الخفية التى سترها الله عن الخلق ·

والورع يقضى يومه كله شاعرا بحاجته لربه وفقره إليه ولا يشهد من نفسه حسنة ، وقالوا : (العمل من أجل الناس شرك ، وترك العمل من أجل الناس رياء) ·

وقد يكون المرء مرائيا مع عدم نظر الناس إليه إذا تمنى لو كانوا ناظريه · ودليل صدق العبودية عدم الرغبة فى علم الناس بها لا مجرد عدم العلم ·

والورع ينظر إلى الدنيا على أنها مكان لا يقيم فيه إلاَّ كل راحل ، ولا يأتيه شىء إلاَّ ليتحول لغيره ، وأنها الأكدار والهموم ، وهو يعلم فى هذه الحالة أن الله شاء ذلك حتى يزهد المرء فيها،ولا تكون حائلا له عن القدوم على الله ·

وبقدر إخراج الدنيا من القلب يكون قدر النور والمعرفة فيه، فكما أن الله سبحانه وتعالى لا يحب العمل المشترك، فإنه لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يُقبل عليه ·

والورع فى الخلوة أقسى وأشد ، وآفة الدين الطمع، من قل ورعه قلت هيبته ·

ويروى أن رجلا صالحا كتب عقدا فأراد أن يجففه بتراب من جدار جاره فخطر بباله أن ذلك لا يجوز لكنه أخذ التراب ولم يأبه بخاطره فسمع من يقول: « سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدًا من الحساب » ·

إن فى الجنة درجات ومنازل ولكل درجة أهل وبقدر عملك تكون درجتك فليس الأمر هباءً ·

ولا يتساوى من يتجافى جنبه عن المضاجع ومن يغب فى نومه طوال ليله حتى ولو أديا جميع الفرائض ، ولسان دائم الذكر لله رطبا بذكره لصاحبه قلب انتظمت نبضاته مع لسانه لا يتساوى أبدًا مع من هو أقل منه حالا وفعلا .

وبقدر الصدق مع الله يكون تأثيرك فى الناس ، وشتَّان بين من يحركه النجاة من النار ودخول الجنة ومن يحركه الانشغال بدرجات الجنان .

ومن الورع عدم ترك ورقة أو شىء عليه اسم الله على الأرض بل يجب حمله والاحتفاظ به وتعطيره ، ولو خلا قلب من الورع لازمه الطمع ، وبغير الورع يقرب المرء من الريب والشبهات .

* * *

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :٩٣٤٩ / ١٩٩٦

الترقيم الدولي : 977-19-1522-3

دار التوفيق النموذجية للطباعة

أوفست.. تيبو